المنار
١٣١٥
فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب
يصدر في مصر في أول كل شهر وفي ١٦ منه

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق)

(مصر يوم الاحد ١٦ ذي الحجة سنة ١٣٢٠ — ١٥ مارت (آذار) سنة ٩٠٣)

﴿ رأي في اصلاح المسلمين او رأيه ﴾

كتب الينا وكيل المنار في بعض الأقطار رأيه في طريقة إصلاح المسلمين في خاتمة جواب يتعلق بأمر الاشتراك والمشتركين فأحببنا أن يطلع عليه القراء لما فيه من دقة النظر وبعد الغور قال حياه الله :

« رأيك بالعناية في إصلاح النفوس والعقول والأفكار والأخلاق لا أظن أنه يوجد من يخالفك فيه على شرط أن تجمع من أيدي الناس كتب التصوف النظري وكتب العقائد التي أُلّفت على طريقة ارسطو (لا كتب أرسطو نفسها) والتفاسير التي البسها أصحابها لباس الفلسفة اليونانية وكذا الكتب الفقهية التي كتبها الاعاجم ومن احتذى حذوهم لا الكتب التي كتبت بطريق الرواية كالموطأ وغيره وطرح القواعد التي دوّنها الأصوليون وجعلوها من أصول تعاليم الدين وتحويل تكايا العلوق الى مدارس تعلّم فيها العلوم الكونية بأسرها على شرط أن تكون إدارتها بيد أناسي من

علماء أمم أوربية صغيرة كسويسرة والبلجيك ويعزل الشبان المتعلمون عن الأمة حتى يمتنع سريان عدوي الأخلاق التي أرزأت أمم الاسلام من الاسلاف الى الأخلاف . وبعد أن تندرس هذه الرسم التي صارت مع طول الزمن وكام أقذار مفسد للتمدن يتسنى للمصلحين ان يشيدوا على أنقاضها ما قل إصلاح

« وهيهات هيهات ان يفوز المصلحون بتلك المطالب العسيرة التي أعيت هما ، وبيضت لمما ، وأشفت أمما ، ظهر كنفشيوس قبل عصرنا هذا بإحدى وعشرين قرنا لمعاناة إصلاح مذهب سكياموني وتجديد ما تداعى من بنيانه العتيق الذي كرت عليه الدهور الدهاريز وبالرغم مساعيه الكبيرة وهمته القعساء وعزمه الصارم بقيت آراء سكياموني كما هي محتكرة في الهياكل لكهنة الشعب ولم يزدها ذلك المصلح بقارعته العظمى الا ثباتا وتمكينا . وهذا المسيح قام ليعدل سلطة اكليروس اليهود وليجدد ما اخلولق من مذهب التورا فلم يقبل له رأيا الا من خذله في اداء الشهادة وقت المحاكمة

وماعسى ان اقول ونبينا الكريم عليه السلام قد ارسله الله مهيمنا على الكتب ومجددا لشرائع الكون التي اقتضت سنة العمران تجديدها بتجدد المقتضيات فلم يقبل دعواه من أرباب تلك الاديان الا من نكب عن فئته ، وانحاز لفئة بئة ، وهكذا شأن كل مصلح يفلت من أسر العادة وينسلت من قيود المصطلحات وتؤثر في نفسه الحقائق وتشمل بصيرته المشاهدات الصحيحة يستنكر ما يستحسنه الناس ويستحسن ما يستنكرونه فيسفه أحلامهم ، ويبين أوهامهم ، الى أن يثوبوا الى رجعة الهدى ، او يكون نشأ جديدا ، ودون ذلك خرط القتاد على قرن سلطة الظروف المحيطة

على أن هنالك مهيعا آخر اقرب الى السلامة ، واضمن للنتيجة ، وهو

سبيل رجالات أوربا الكبار ، ودهاقنها العظام، وبيانه ان يشتغل المصلح بمد ترقية نفسه ، وترتيب منزله ، وتنظيم معيشته ، وتدبير مأكله، بتنمية ثروته بالطرق القانونية ويختار له منها الطريق الأضمن على شرط أن يحتذي مذهب الصدق ويتقيل نمط الامانة ولا يعتمد الا على نفسه فلا يمر عليه غير زمن قليل حتى يكون من أكبر المثرين في العالم مثل مرجان وسيسل رود وغيرهما فلا يصعب عليه بعد تكوين الثروة تأسيس المشروعات وعقد الشركات وإنشاء المدارس وفتح المعامل وارسال الفلك تمخر عباب اليم تجمع له كنوز المخلوقات.

« وأما طريقة إصلاح الامم والنفوس بإلقاء الخطب وكتابة المقالات فلا تفيد المسلمين في شيء اللهم الا من كان له هوس منهم فيهما لأن العالم والصانع والزارع والصراف والتاجر في البلاد المربلة [1] لا يصيخون الأسماع للخطب ولا يعيرون الأبصار للمقالات الا في أوقات الفراغ من الاعمال، فهي عندهم بمثابة المسليات والمتبهات . والذي يصيخ وينظر في بلادنا الواحد هو المتكسل المتقاعس عن خير نفسه ونفع جنسه واذا تنبه لبه وانتبه بصيرته فلا يكون منه غير التأوه على الاسلام والبكاء على المسلمين ولهذا اتفقت كلمة المرشدين على ان ترقي الامم لا يفيد الا اذا كان مادياً بحتاً مطبياً على أثافي الصناعة والزراعة والتجارة وطباته الإقدام والحزم والعزم والنشاط والثبات . وحققوا أنه لا يتوقف على دين ولا يحتاج الى بعثة رسول، وإنما تدعو اليه الحاجة ويبعث اليه اختلاط العناصر المختلفة بعضها

(١) يقال ربل القوم اذا كثروا ونموا ولا أعرف له رباعيا وربلت الارض ربلت الرجل وهو تعجرم ولا معنى لهذا هنا

«بدين سكان الجابون بدين وثني أخمد نفوس اهله آلاف السنين وأبقاهم خاملين تحت سجف طقوسه الواهنة حتى ذاق أفراد منهم عسيلة الإثراء فانبرت نفوسهم ساعية وراء التأسيسات النافعة وما فتؤا يفكرون حتى تنبه لهم الأقران فتلاحقوا بهم ثبي وما كادت تتنبه لهم الحكومة حتى اضطرها تفاقم المساعي الى التنازل عن كثير من حقوقها المكالة بطيلسان الكهنوتية المقدس وأتاحت لهم بغير عناد حكومة مقيدة باحتساب الأمة عليها وقد صارت الآن تضارع أعظم الأمم شوكة واقتدارا . وما دين المسيحية بأصفى منهلا من المنبع البوذي وهذا مبتدع وذاك مخترع والمنزع القديم في الغالب مقتبس ومتبع (كذا) ومع ما هو عليه من التشويش والتشويه والتلبس بتلك الحجب التي حاكتها يد المجامع المقدسة لم يزل ديناً للأمم الراقية ذات الطول والحول والمنعة والعزة رغما عن النهضة العلمية والاخلاقية

لا أحاول الجدال ولا أريد الحوار وإنما غايتي أن أطلعك على فكري الخاص في اصلاح الامة الاسلامية بالوسائل الصحيحة التي لا تستلزم زمنا طويلا ولا تكلف تعباً كبيراً وهي ان تترك القادري يعمه في قادريته والرفاعي يعشو في رفاعيته كما تركنا النصراني يتخبط في ظلام نصرانيته والوثني يهرف في وثنيته ونسعى مع الجميع متكاتفين لنحصل فرنكا واحداً عن كل شخص من المسلمين ذاك لروح شيخه وهذا باسم وليه وذا في سبيل النهضة وهذا باسم الوطنية الى ان تمكن من جمع مال كثير فنؤسس به مشروعا يكون جزيل الفائدة ، كبير العائدة ، وما علينا والصراخ في الهواء ، والنفخ في الأجواء والاشتغال بما لا يعنينا والتوقي من الرياسة ، فذاك في مذهبي شيء لا يجدي والسلام»

﴿ رأي المنار في الموضوع ﴾

لقد أحسن الكاتب النبيل القصد في قوله ولكن فيه إجمالا يحتاج الى بيان ونظرا في بعض الجزئيات . وما كان الاجمال منه الا لأنه كتبه لمن يغنيه الإجمال عن التفصيل وفرق بين ما كتب ليطوى وما كتب لينشر . ولقد سرنا توارد الخواطر وتلاقي الأفكار بيننا وبين الكاتب النبيل ، والوكيل الاسبق ، في وجوب عزل المتعلمين عن الامة لأن قوام التربية بالقدوة والمحاكاة المتولدتين من المعاشرة والمخالطة وقد بدأ الله تعالى تربية نبيه الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) بعزله عن الناس فحبب اليه الوحدة ، وألهمه الانزواء والعزلة ، ثم علمه بالوحي ماشاء ان يعلّمه ، ولقد قال « أدبني ربي فأحسن تأديبي » فعلينا ان نستفيد من هذه الحكمة ، مع من منحه الله العصمة ، وموافقة أخرى في الرأي وهي الاستعانة على تعليم الفنون والعلوم الكونية ، باساتذة من أصغر الشعوب الاوربية ، لأن هؤلاء أبعد عن السياسة التي تفسد كل صلاح ، وتحول دون كل نجاح ،

الذي لاح لي من كلام الكاتب في إخفاق رجال الإصلاح المعنوي هو أن غرضه منه تحويل وجوه المتعلمين عنه ليتولوا شطر الاصلاح المادي الذي يراه والا فان كل واحد من المصلحين الذين ذكرهم قد كان له تأثير كبير في أنواع الانقلاب الذي حدث في العالم المرة بعد المرة وليس من شرط النجاح في المشروع ان يأخذ به كل أحد ولا ان يكمل فيه كل من أخذ به . فاذا كان الإصلاح المعنوي لم يعم أفراد الامم التي ظهر فيها فكذلك الإصلاح المادي والسبب في هذا وذاك أن الاستعداد في البشر متفاوت تفاوتا كبيرا وكل يعمل بحسب استعداده ففي أوربا من يملك ألوف

الالوف وفيها من يموت جوعا وكائن من عالم يطلب الثروة ، وتموزه الكسرة والحسوة ، وليس هذا مقام بيان تأثير أولئك المصلحين العظام في الأمم والكاتب يعرفه ولكن غرضه ماذكرنا

والقول في تأثير الخطب والمقالات يتصل بالقول في تأثير رجال الإصلاح المعنوي لأن الخطباء والكتاب الداعين الى الإصلاح هم ورثة الأنبياء والشارعين وهم أركان الإصلاح الاجتماعي والسياسي ومن ينكر أن للوتر وأشياعه وميرابو وأضرابه تأثيرا عظيما في تحويل أوربا مما كانت عليه ، ونقلها الى ما انتهت اليه ؟ ومن ينكر تأثير تلك المقالات والرسائل التي كانت تنشر في فرنسا قبل الثورة الكبرى وأن ذلك التأثير هو الذي زلزل عرش الملك وسلط الصعاليك على الأمراء والنبلاء ؟ فالإصلاح في جميع الأمم إنما جرى على أيدي الفقراء والمتوسطين بباعث معنوي ولم يوجد إصلاح في الأرض بدأ به الأغنياء بتأسيس المشروعات المادية النافعة وإن شئت فقل انه لم يوجد إصلاح مادي بحت ولكن كل إصلاح يرقي البشر يفتح العمران والعمران المادي إنما يكون في النهاية لا في البداية

كل هذا يعرفه الكاتب الفاضل ولكن الرأي الذي أبداه انما هو في اختيار أقرب الطرق ولعمري إنه لطريق أمم لولا أن فيه من العقبات الكؤود ما يتعذر معها سلوكه على الضعفاء المحتاجين الى الإصلاح كالمسلمين

فيا دارها بالخيف إن مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال

يقول إن الواجب على مريدي إصلاح المسلمين أن يسلكوا سبيل رؤساء روسيا بعد إصلاح شؤون منازلهم ونظيم طرق معيشتهم . من هؤلاء المريدون للإصلاح وما هي طبيعة بلادهم التي يعيشون فيها ؟ هم نفر

من وسط الناس سلمت فطرتهم، وصفت فكرتهم، وحسنت في الجملة وبالمصادفة تربيتهم، وامتازوا بالميل الى البحث في الأمور العامة والاهتمام بأمر الأمة والملة . ولم يكن لهم شيء من هذه الخصائص بواسطة تعليم وتربية أودعا في نفوسهم اذ لا يوجد للمسلمين مدرسة في قطر من الاقطار تُذكر فيها مصلحة الأمة أو توجه نفوس تلامذتها في تعليم كل علم وفن الى أن المراد به الإصلاح وإنقاذ الأمة مما هي فيه . وإنما هو الاستعداد الفطري مع مساعدة التوفيق الذي يعبرون عنه بالظروف والمصادفات . ولو أن هؤلاء اشتغلوا بغير البحث في الأمور العامة وطرق الإصلاح لضعف استعدادهم فيه لأنهم لم يتربوا عليه ولم يتعلموا طرقه تعلّما فيكون همهم بعد المدرسة السعي في اتخاذ الوسائل لما وجههم اليه المربون والمعلمون

وأما طبيعة بلادهم فهي كما يعلم الكاتب ليس فيها موارد قريبة للثروة الواسعة من الطرق القانونية كالثروة التي جمعها سسل رود . والاعمال الكبيرة التي يتوقف عليها إيجاد الموارد لا تكون الا من قوم تعلموا طرقها وفنونها وتربوا تربية صلحوا بها محلاً للثقة في إناطة الاعمال بهم وأنّى لبلاد المسلمين بهؤلاء العاملين العالمين !! وجملة القول ان الذين يفكرون في الإصلاح من المسلمين ليس عندهم استعداد لجمع الثروة الكبيرة وان بلادهم ليس فيها الآن منابع لهذه الثروة مفجّرة يسهل عليهم ورودها وان الامة التي يعيشون فيها ليس لها استعداد لتفجير ينابيع الثروة الطبيعية التي خص الله بلادهم بها لجهلهم وفساد تربيتهم . ونسكت عن حال حكوماتها وما ينتظر ان يلاقيه منهم مريد الاصلاح اذا حاول سلوك الطرق المشروعة الشريفة لجمع المال

إن العمران المادي كان نتيجة للاصلاح المعنوي وكذلك يكون .

أما اليابون (اليابان) فلم يكن السائق لهم الى الاصلاح طلب الثروة ولم يكن تقدمهم ماديًا بحتًا لا شائبة فيه للدين بل كان السائق اليه هو صاحب السلطة الدينية المقدسة والسلطة المدنية القائمة على أساس الدين وهو عاهلهم ومليكهم (الميكادو) فهذا العاهل العظيم هو الذي قيد سلطة نفسه بعد ان كانت حكومته استبدادية مقدسة وهو الذي دعا أمته الى العلوم والفنون دعا ولا نقول انه دعاها دعاء . ولقد كانت التقاليد الدينية مساعدة للسلطة الدينية في عمران اليابان الحاضر كما يعلم من المقالات التي نشرت في المقتطف الأغر معربة عن أصل انكليزي لبعض كبار الكتاب السياسيين . ويذكر العارفون بالتاريخ ان أول عاهل (امبراطور) اشتغل بالاصلاح في أوربا وهو (شارلمان) كان مندفعا بدافع معنوي مشوب بالاعتقاد الديني ولولا الاصلاح الديني الذي قام به زعماء البروتستنت لحبط عمله وكان هباء منثورا

والقول الفصل في الإصلاح الاسلامي هو أن الواجب على العقلاء الذين يتألمون من ضعف الأمة وهو انها أن يسعوا في إصلاح العقول والنفوس بتعليم الصغار وتربيتهم بالمدرسة ووعظ الكبار وتنبيههم بالخطابة والكتابة ليكثر بذلك حزبهم ولا بد لهم في سلوك هذه السبيل من مسالمة القوة سواء كانت اهلية أو أجنبية

فعلم من هذا ان أول واجب على من يشعر بالحاجة الى الإصلاح في بلد من البلاد الإسلامية ان يشتغل بالدعوة الى ما يعتقده في ذلك ليكون له حزب والدعوة خطابة وكتابة فاذا صار له حزب فالواجب عليه وعليهم السعي في التربية المليّة والتعليم الذي يعد الناشئين لأعمال العمران والاستعانة

على ذلك بالاساتذة المهرة الذين ليس بيننا وبينهم مطامع سياسية . وهذا يختلف باختلاف البلاد الإسلامية وأتمها استعداداً الآن بلاد الهند وبلاد مصر وقد بدأ مسلمو الهند يسعون في التعليم الأهلي وشعروا بأنه لا يكون تاما نافعاً الا بإنشاء المدارس الكلية فاقترح مؤتمر التربية الاسلامي في هذا العام جمع الف الف روبية لانشاء مدرسة كلية والمرجو ان يتم لهم ذلك في وقت قريب وأن تكون التربية في هذه المدرسة ملية اسلامية كما وافق على ذلك كبراء الانكليز هناك . ولا بد لمسلمي مصر ان يتلوا تلو مسلمي الهند في ذلك عن قريب ان شاء الله تعالى وسيكون للخطب والمقالات تأثير عظيم في جمع المال اللازم لذلك فان الجرائد كالحداة ولا حداء الا ان يكون مسيرا كما قلنا في العدد الثاني من منار السنة الأولى ولا يرجى من الذين اتخذوا من دون الله أولياء، وربطوا قلوبهم بقبور الاموات وقيدوا عقولهم بخرافات الاحياء ، أن يساعدوا على انشاء مدارس للعلوم الكونية ، وهم يشعرون بأنها القاضية على تقاليدهم الوهمية

هذه هي الطريقة المثلى للإصلاح ولا يجد المصلحون من الأمة غيرها . أما الملوك والأمراء فان لهم اذا أرادوا الإصلاح عملا آخر وهو أن يبدأوا بالقوة العسكرية فيعززوها ما استطاعوا لتكون الدولة آمنة من اعتداء الأعداء الذين يشغلونها عن الإصلاح الداخلي متى آنسوا منها الضعف ثم يوجهون الأمة الى تعميم التربية والتعليم وتنمية الثروة بالزراعة والتجارة والصناعة ويقيمون حكومة الشورى ويجتهدون في توثيق الصلات بينهم وبين أمثالهم من الأمراء والسلاطين . ولكل حكومة إسلامية ضرب من السير في الاصلاح يختص بها ولا تبلغ الغاية بدونه . وقد أخطأ

سلطان مراكش ما يليق بحاله من السير في طريق الاصلاح فزلّت قدمه وكان الواجب عليه قبل كل شيء إصلاح الجندية كما سبق لنا القول في غير هذا الجزء ليأمن العدوان الداخلي والخارجي ثم يشرع في تعليم الأمة وتربيتها مستعينا في أول الأمر بالمسلمين كالمصريين الموافقين لأهل بلاده في اللغة ثم بالأجانب الذين لا طمع لهم في بلاده عندما تستعد بلاده لذلك فلا تأنف منه .

على أن أملنا في جميع حكام المسلمين ضعيف بل نحن أقرب الى اليأس منهم منا الى الرجاء فيهم . وهكذا شأن الملوك الذين ألفوا الاستبداد وما كان عمل عاهل اليابان؛ الا فلتة من فلتات الزمان ، والظاهر لنا أن كل ماهو مخبوء في الغيب من الخير لهذه الأمة فانما يكون بسعي بعض العقلاء من أفرادها دون الملوك والامراء ولله في غيبه شؤون ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون

﴿ مدنية العرب ﴾

النبذة السادسة تابعة لما نشر في الجزء ٢٣ من المجلد الثالث

ينبغي للانسان ان يجتنب الوعد ما استطاع وأن يجتنب تحديد الوعد بزمان أو مكان اذا هو وعد الا اذا اضطر الى ذلك اضطرارا وقلما يأتي الاضطرار في الأمور العامة . كنا شرعنا في السنة الثالثة للمنار بكتابة مقالات في مدنية العرب أو مدنية الاسلام في عهد الدول العربية فكتبنا خمس نبذ في منشإ تلك المدنية وكونها قامت على أساس الدين وتولدت من تعاليمه ثم في اشتغال العرب بالعلوم الكونية وما اكتشفوه واخترعوه في علم الفلك وسائر العلوم الرياضية كالحساب والجبر والهندسة ووعدنا بأن تتم هذا المبحث في السنة الرابعة فمرت السنة الرابعة ولم يتح لنا فيها الوفاء بالوعد

ولكننا استأنفنا وعداً آخر في آخرها بأننا نتم ذلك في هذه السنة وقد مرت السنة حتى لم يبق منها الا هذا الجزء ولم نتمكن من إنجاز الوعد لأن المقالات المتسلسلة زادت في هذه السنة عما قبلها بنشر مقالات جمية أم القرى ومقالات « الاسلام والمسيحية مع العلم والمدنية » التي كان فيها تتمة إجمالي من موضوع مدنية العرب . وقد رأينا أن نختم هذا الجزء بنبذة سادسة وفاء بالوعد بقدر الامكان فنقول :

(الجغرافيه الرياضية وتقويم البلدان)

اشهر كتب الجغرافية اليونانية كتاب بطليموس وأزياجه وقد كانت آراء بطليموس تؤخذ على علاتها لان العلم صار تقليديا حتى تناوله اجتهاد العرب فطفقوا من عهد المأمون يصححون أغلاط اليونان في الفلك وسائر الرياضيات كما تقدم ومن ذلك انهم صححوا أرصاد المجسطي بالزيج الجديد وأعادوا تحديد أطوال الارض فكان أتمها تصحيحا تحديد بلاد العرب والخليج الفارسي والجزيرة وبلاد فارس والبحر المتوسط . ولما اشتغل الافرنجيون بهذا العلم ظلوا زمنا طويلا مغرورين بكتاب بطليموس حتى ظفروا بكتب العرب وتصحيحهم لاغلاط بطليموس . بدأ العرب بتصحيح أزياج بطليموس في أول القرن الثالث على عهد المأمون ولكن ذلك التصحيح لم يكن تاما فان البيروني في أول القرن السابع هو الذي صحح الغلط في حساب أطوال بلاد الروم وما وراء النهر والسند وألف قانونا جغرافيا كان قدوة المتأخرين بالجغرافية من بعده

وذكر عمر الخيام حساب جداول التقويم السنوية (الزوجاته) في سنة ٤٦٩ و ٤٧٠ وحدد مدة السنة الفلكية أتم تحديد . وصنع الشريف

الاسبانيولي في اوائل القرن السادس خريطة جغرافية من الفضة لملك صقلية حفر فيها باللغة العربية صور جميع الممالك المعروفة في ذلك العهد وألف كتابا في الجغرافية بين فيه أول نقطة التماس بين جغرافية اللاتينيين وجغرافية المدارس الاسلامية وقد عكف رسامو الخرائط الجغرافية في أوربا على مؤلفه ثلاثة قرون ونصف يتقلدونه كما هو لا يزيدون فيه ولا ينقصون منه . وكان من علماء هذا الفن في المغرب ابو الحسن علي المراكشي في أول المئة السابعة للهجرة الشريفة وقد قال سيديو ان كتابه كان أجل الآثار العلمية فيما عليه العرب من علم الجغرافية . وكان لعلم الجغرافية خرائط بحرية أيضاً عثر الاوربيون على بعضها في أول المئة التاسعة للهجرة . ووجدوا خريطة بحرية أخرى من رسم عمر العربي سنة ١٦٤٨م أي سنة ١٠٥٨ هـ

اما الجغرافية الوصفية أو التخطيطية فقد عرفها العرب قبل الجغرافية الرياضية واتسمت مرقمهم بها باتساع فتوحاتهم وتجارتهم . قال سيديو : انهم حين امتدت مملكتهم من المحيط الاطلانطيقي الى تخوم مملكة الصين انشأوا بالتدريج اربع طرق طرق عظيمة تجارية توصل بين مدينتي قادس وطنجة الى أقصى آسيا . (إحداها) تخترق أسبانيا وأوربا وبلاد سلاوونة الى بحر جرجان ومدينة بلخ وبلاد تجزجز (والثانية) تخترق بلاد المغرب ووادي النيل ودمشق والكوفة وبغداد والبصرة والاهواز وكرمان والسند والهند (والثالثة والرابعة) تعبران البحر الابيض المتوسط وتتجه إحداهما من الشام والخليج الفارسي والاخرى من الاسكندرية والبحر الاحمر للتوصل الى بحر الهند . فكثرت بهذه الطرق السياحات ونقل السياحون الى اقصى البلاد ما عند العرب من الافكار والتمدن واستفاضوا الاخبار الجليلة الفوائد

فنورت أذهان الملاحين وعرفتهم الأخطار التي يخشى عليهم الوقوع فيها اذا سافروا في ولايات غير مكتشفة تمام الاكتشاف واشتملت الأزياج التي حررها البتاني بالرقة سنة تسعمائة (٢٨٧هـ) وابن يونس في القاهرة سنة ألف (٣٩٠هـ) على كتاب رسم الارض بلا تغيير كبير . وأما ابن حوقل والاصطخري والمسعودي المشهورون في نصف القرن العاشر من الميلاد فوصفوا في كتبهم صورة الاكتشاف الجديد . وحسب العلامة الكومي سنة ١٠٦٧ الاطوال من ابتداء الطرف الشرقي من الارض القارة

وزعم بعض الفرنج ان العرب كانوا متبعين في أول عصر بني العباس الروايات الهنديه مع أن كتاب مبادي الفلك المسمى بسند هند الذي نقله الى العربية سنة ٧٧٥ (١٥٨) لم يكن له عظيم اعتبار عند العرب فانهم ظنوا عما قليل برسالات يونانية وتركوه لا يتفوهون باسمه الا ليبينوا مافيه من الغلط . ولم يعولوا في شيء من الجغرافية على كتب الهنود بل اعتقدوا أن شبه جزيرة هندستان في مركز العالم وان خط استواء النهار الذي يبين نقطة وسطها يخترق مدينة اوجين وجزيرة سيلان . وبحث العرب في كتبهم عن خط نصف نهار القبة الأرضية وهي فيه عرين للتنصيص على الاطوال فظن بعض الفرنج ان المراد من (عرين) مدينة أوجين وهو خطأ فان القبة المنسوبة الى عرين هي نقطة تقاطع الدرجة التسعينية من حساب بطليموس مع خط الاعتدال على بعد متساوٍ من الجهات الاربع الأصلية وليست هي قبة أوجين فان العرب كانوا يعرفون حق المعرفة محل اوجين الجغرافي وأما « عرين » فكلمة اصطلاحية ارادوا بها جزيرة موهومة بين هندستان وبلاد الحبشة سماها المؤرخ

ديودور الصقلي جزيرة اورانوس . وبدل العرب خط نصف نهار عرين اوقبة الأرض بخط نصف النهار المار بالجزائر الخالدات فاتبع ذلك من ابتداء القرن الحادي عشر الى الثالث عشر » اه

وقد الف العرب كتباً مخصوصة في مسالك البلدان حتى صار علماً مستقلاً وفي اسماء البلاد والاماكن ككتاب مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ومعجم ياقوت والمشترك وتقويم البلدان للملك المؤيد صاحب حماه وتقويم البلدان للبلخي وكتاب اوضح المسالك الى معرفة البلدان والممالك (وهذا الف في عهد الدولة العثمانية واهداه مؤلفه محمد ابن علي الشهير بسپاهي الى السلطان مراد الثالث ٩٨٠ ثم اختصره بالتركية)

﴿ العلوم الطبيعية ﴾

الكيمياء والصيدلة : قد ارتقت العلوم الطبيعية عند العرب واتسعت مذاهبها وكثر الاكتشاف والاختراع فيها على أن حظها كان دون حظ العلوم الرياضية لأن العمدة في العلم الرياضي العقل والعمل مؤيد له والعمدة في العلم الطبيعي العمل والعقل مساعد له وما يتوقف الارتقاء فيه على العمل لا يرتقي الا بالزمن الطويل . كانت العلوم الطبيعية من عهد استاذها الاول أرسطاطاليس ضئيلة ضاوية ثم ماتت بضعفها ولما أحياها العرب بإحياء الاسلام لهم تنكبوا طريق النظر المحض فيها واعتمدوا على التجربة فحولوا الكيمياء الوهمية الى كيمياء حقيقية واشتقوا منها فن الصيدلة (تركيب الادوية) وانتقلوا الى التاريخ الطبيعي فاكتشفوا بذلك خواص نبات بلادهم وصموغها البلسمية وأفادوا بها الطب والصناعة فوائد جليلة . قال سيديو : إن البحث عن الجواهر الطبية الذي مدحه ديوسقوريدس لاهل مدرسة الاسكندرية

كان من مخترعات العرب فانهم هم المنشئون للصيدليات (الأجزخانات) الكيماوية والموروث عنهم مايسمّى الآن بقواعد تحضير الأدوية الذي انتشر بعدُ من مدوسة سالرنه في الممالك التي في جنوب أوربا :

ومن مخترعات العرب في الكيمياء الكحول او الغول الذي صار قوام الاعمال الكيماوية والصيدلية وتركيب حمض الكبريت والماء الملكي والماء المشر والجلاب وغير ذلك من الادوية والمعاجين والمربيات والهلامات. قال في دائرة المعارف : « وهم أول من اخترع السواغات لإذابة الاصول الفعالة للادوية سواء كانت معدنية او نباتية او حيوانية واخترعوا الانبيق والتقطير والتسامي ووضعوا في أيام الخلفاء قانونا اقرباذينيا كانت جميع التراكيب الاقرباذينية المذكورة فيه مثبتة من طرف الحكومة لايجوز خلافها : » أي انهم هم الذين جعلوا عمل الصيدلة رسميا بمعرفة الحكومة

واشهر العلماء المخترعين في الكيمياء والاقرباذين (الصيدلة) ابو بكر الرازي صاحب كتاب (الترتيب) فيها والكتب الكثيرة في الطب والفلسفة (توفي سنة ٣١١ هـ) وهو المخترع للمسهلات اللطيفة ولاستعمال كثير من النبات في الطب والرئيس ابو عليّ بن سينا فيلسوف الشرق واكبر اطبائه وابن رشد فيلسوف الغرب وأكبر أطبائه وقد ترجم الاوربيون اكثر كتب هذين الفيلسوفين وانتفعوا بها كما انتفعوا بكتب الشيخ ابي بكر الرازي ويشهدون للعبقرية العربية في العلوم

الطب : لا يعرف التاريخ أمة أقدم عهدا في صناعة الطب من المصريين فهم أساتذة اليونانيين وأئمتهم ولكن طبهم كان ممزوجاً بالأوهام والتقاليد الخرافية كاعتقادهم أن الصرع يكون بدخول عفريت من الجن في جسم

الإنسان وكانوا يعالجونه بالرقى والعزائم وإنما برعوا في فرع واحد من فروع الطب وهو التحنيط وكان التشريح مذموما عندهم والأطباء من غير الكهنة محتقرين يعاقبون اذا مات من يعالجون . ثم لما دالت دولة العلم الى اليونان بعد انحلال المصريين عنوا بالطب فكان علما محترما ثم قضى الرومانيون على علم اليونان كما قضوا على دولتهم وكانت عنايتهم في المعالجة مقصورة على الرُّقى والطلاسم ومجربات العامة التي يتناقلونها . ثم أحوجتهم الحضارة اليه فأجلُّوا الاطباء بعد احتقارهم ولكن الرومان أنفسهم لم ينبغوا في الطب وفنونه بل احتقروه في أول دولتهم . احترموه في عنفوانها ثم عنوا به بانحلال دولتهم حتى اذا نهض الاسلام بالعرب لم تكن لهذه العلوم سوق نافقة في الارض فاستيقظت بعد موت .

دائرة المعارف : ولما كانت فتوحات العرب وضربوا في طول البلاد وعرضها كان الطب كسائر العلوم في اسفل درك الهوان والخمول فنهضوا به نهضة جديدة والتقطوا ما فيه من كتب اليونان وغيرهم ودونوه كتبهم مع زيادة مما توسعوا فيه بالبحث والتحري وأجادوا بتعريفه ووصفه وتقسيمه : (ثم قال) : ولم يكد يفرغ الخلفاء ومن واليهم من بني أمية من بسط جناح الإسلام حتى أخذ الخلفاء يلجون باب العلم كما ولجوا باب الفتوحات فكان للطب منهم وافر واستمانوا بعلماء اليهود والنصارى عملا بالحديث القائل « استعينوا على كل صنعة بصالح أهلها » فكانت للامويين من ذلك بعض الآثار ولكن الآثار المشيدة والمساعي الحميدة إنما كانت للعباسيين في بغداد ومن ثم للأندلسيين فاتخذ السفاح العباسي أطباء ماهرين أقام بختيشوع النسطوري رئيسا عليهم وطبيبا خاصا له كما كان جرجيه اليهودي

عند عمر بن عبد العزيز الأموي :

— ثم ذكر بعض كبار اطباء العرب ومؤلفاتهم واكتشافاتهم وقال — :

«وعلى هذا كانت دولة العرب عروة الوصل بين طب المتقدمين وطب المتأخرين ولولاهم لانتثر ذلك العقد وعفا الكثير من معالم العلم والعرفان فان معظم ما تناوله الافرنج من علم الاقدمين قبل فتح القسطنطينية إنما كان عن العرب وظل اشتغال العرب مدة مديدة منحصراً في النقل والتقليد لا يأخذون الا بما ينقلون ويذهبون مذهب الاقدمين فبينا تراهم عالمين بالأمزجة والأغذية وباحثين في الداء والدواء واذا بهم يقولون بالتنجيم والعزائم والرقى والطلاسم؛ وكان هذا شأنهم الى أن نبغ منهم علماء حكماء فاستجلوا كثيراً من الحقائق العلمية وأنقوا المخلف من مبتكراتهم وتوسعاتهم مباحث واكتشافات . فهم أول من دقق البحث في الحميات النفاطية كالجدري والحصبة والحمى القرمزية وحسبنا من ذلك رسالة الرازي . وهم الذين لطفوا المسهلات وأشاروا باستعمال المن والسنا والتمرهندي والراوند والكافور وغير ذلك . وان كانوا عرفوا منافع أكثر تلك المواد بما ترتب لهم من العلائق التجارية مع الصين والهند فليس في ذلك ما ينخفض من قدرهم ويقلل من فضلهم . وهم الذين حسنوا صناعة التقطير والتخمير وتشكيل الأواني الكيموية بأشكال يسهل بها التناول واستخرجوا كثيراً من الأملاح المعدنية وكانت لهم اليد الطولى في فن الصيدلة فوضعوا أسسه ووطدوا أركانه فأفادوا العالم فائدة خلدها لهم التاريخ :

ثم قال الكاتب : وفوق اشتغالهم بطب البشر عنوا بعض العناية (كذا) بالبيطرة وهي طب الخيل والزردقة وهي طب الطيور وسائر العلوم التي

لها علاقة صريحة أو غير صريحة بالطب كالبزدرة وهي صناعة الفرس والطبيعيات : (الى أن قال) ولهذا قبضوا على ناصية الطب كما استقلوا بأزمة العلم من فلك وهندسة ونبات وكيميا ومنطق وطبيعيات وماوراء الطبيعيات . ولبثوا أربعة قرون متوالية مستودع المعرفة وملجأ الحكمة أي منذ تولى الرشيد في بغداد أو قبيل توليه الى موت ابن رشد . ولا عبرة بالفترة التي حصلت بعد وفاة ابن سينا فان العلم لم يمت في خلالها . (قال) والعجب كل العجب أنه قامت بعد ذلك للمسلمين دول شتى ذات قوة وشأن عظيم فكان منها العرب والعجم والترك والتتر ولم تفلح دولة منها هذا الفلاح وان لذلك بلا ريب أسبابا نضرب عنها صفحا لخروجها عن دائرة بحثنا : اهـ

نقول ان المدة التي ذكرها هي التي كان فيها العلم العربي في عنفوان شبابه وقد ولد قبلها ومات بعدها بزمن . وابن رشد مات في ١٠٩٨ ولم يكن بعد ذلك للعرب دولة قوية بروح الدين وحياة الخلافة الإسلامية وان كان لدولة الترك من القوة الحربية مالم تصل اليه دولة سواها ولم تكن حياة العلم في دول العرب بالقوة الحربية وانما كانت بالقوة الأدبية التي نالتهم من الاسلام ، ولم ينالهم الاسلام غيرهم كما يجب أن يقال . وقد ظهرت الدولة السلجوقية بعد موت ابن رشد بنحو مئة سنة فان انقراض الدولة السلجوقية كان سنة ٦٩٩ وعلى أنقاضها بنى السلطان عثمان الأول بناء سلطنته خلدها الله تعالى بتوفيق القائمين على سريرها للعدل والإصلاح آمين (للمقالات بقية)

﴿ الكرامات والخوارق ﴾

(المقالة السابعة تابعة لما في العدد ٤١ من المجلد الثاني)

نشرنا في منار السنة الثانية مقالات في كرامات الاولياء ذكرنا في

مقدمة المقالة الاولى منها (٢:٢٦) أن النظر في هـذه المسألة من وجوه حقيقتها والحكمة فيها. حجج القائلين بجوازها ووقوعها. حجج المنكرين لها . ادعاء جميع الامم لها . منفعة الاعتقاد بها ومضرته. تمحيص الحقيقة فيما نقل من الكرامات . وقد بينا هذه الوجوه والمباحث الاربعة منفعة الاعتقاد بالخوارق ومضرته فقد كنا عازمين على أن نرجئه الى أن ننقل طائفة من الخوارق التي تؤثر عن كهنة الوثنيين والكتابيين إيضاحا لما جاء في عرض القول من ان جميع الامم تدعي لرؤساء دينها الخوارق والكرامات. ولما كان هذا يتوقف على مراجعة كتب الدين لتلك الملل وذلك لا يتيسر الا في وقت الفراغ ظللنا نتربص هذا الوقت فمرت السنة الثالثة ولم نصبه فيما بعدها فوعدنا في آخرها بأن سنتم في الرابعة مبحث الخوارق ومبحث مدنية العرب ومرت الرابعة مختومة بوعد آخر لم نر بدا من الوفاء به مع الإيجاز كما بدأنا الوفاء بمبحث مدنية العرب ونسأل الله تعالى ان يتوب علينا من الوعود المحدودة ؛ وان كانت آجالها ممدودة ،

اضطرونا الى الوفاء بهذا الوعد (إكمال مبحث الكرامات) الذي ضاق عنه حولان كاملان في أضيق الأوقات علينا وأكثرها شواغل — في جزء آخر سنة تقدمه عيد لا عمل فيه وانحراف في المزاج من النزلة الواغدة (الانفلونزا) وزاحمه مع الاعمال الإدارية والحمائية الاشتغال بالانتقال من المنزل الذي نحن فيه الى منزل آخر مجاور له والاشتغال بتأسيس طابعة المنار . وهذه عاقبة من عواقب التسويف السيئة ذكرناها تأديباً لنفسنا و[illegible] لنا ولتكون عذرا لنا في الاختصار والإيجاز في موضوع كنا نود أن نطيل فيه لأن للاعتقاد بالخوارق تأثيرا في الأخلاق والآداب

والعادات وشؤون المعيشة والكسب. وان شئت قل ان لها التأثير العظيم في سير الأمم فرسوخ هذا الاعتقاد في قوم وزلزاله أو زواله من نفوس قوم هو من علل ما عليه الاقوام من التقدم والتأخر في السيادة والثروة وضدها

(الخوارق عند الوثنيين)

كانت الأديان الوثنية كلها قائمة بخوارق العادات وكان لقدماء المصريين منها النصيب الأوفر ولا يزال وثنيو الهند الى اليوم يأتون بخوارق مدهشة ومن أغرب خوارق البراهمة الجلوس في الهواء ولكن الأوربيين تمكنوا بصناعتهم من محاكاة هذه الخارقة. ومن خوارقهم أنهم يضعون النار في أفواههم فلا تضرهم على أنهم يلفظونها غير مطفأة. ومنها أنهم يظهرون أشياء من العدم. ومنها أنهم يستنبتون الشجرة من البزرة في مدة قليلة خارقة للعادة. ومنها أنهم يذبحون الانسان ثم يحيونه. ومنها أنهم يخبرون عن المغيبات فيصيبون. ومن أحقرها ملاعبة الأفاعي والثعابين والتعرض للسعها.

وقد نشرت جريدة الاهرام من مدة قريبة بعض العجائب والخوارق التي تظهر على أيدي هؤلاء الهنود. والهنود معروفون بهذه الخوارق من قديم الزمان وقد اعترف لهم بعض المتصوفة بشئ مما وصل اليهم وعللوا ذلك بأنه أثر الرياضات الشديدة التي تكون منهم (راجع كتاب الجواهر والدرر للشعراني وغيره) ومن هذا التعليل يعلم ان أصحاب تلك الخوارق لم يكونوا كلهم من الاشرار او الذين يتعرضون لايذاء الناس فتأتي التفرقة التي يفرق بها بعض المتكلمين بين المعجزة والسحر بل الكثيرون منهم عباد زهاد نساك مستمسكون بدينهم أتم الاستمساك. أما التفرقة الحقيقية بين السحر وآيات الانبياء فقد تقدمت في بحث الآيات من الأبحاث الدينية

﴿ الخوارق عند النصارى ﴾

كل ماذكره الذين ألفوا الكتب منا في مناقب الصالحين وكل مايتناقله الناس فيما بينهم من كرامات أولئك الصالحين أحياء وأمواتا فيوجد مثله في كتب النصارى وفي رواياتهم الانجيلية التي يدعون انها عن مشاهدة أو ترتقي الى المشاهدة . ومن ذلك ظهور المسيح ووالدته عليهما السلام للعباد في اليقظة والمنام وظهور غيرهما من القديسين . ومنه استجابة الدعاء والإخبار بالمغيبات الذي يسميه المسلمون كشفاً ويسمونه نبوءة . ومنه طي الأرض وتقريب المسافات البعيدة . ومنه إشراق الوجوه بالأنوار وقت العبادة . ومنه نزول المصايب والرزايا بمن يؤذي القديس . ومنه قضاء الحاجات والفوز بالخيرات لمن يتوسل بأحد القديسين والرهبان المتوحدين ويتخذه شفيعاً عند الله . ومنه شفاء المرضى والمجانين ببركات القديس الحي إذا لمس المريض أو صلى له (أي دعا) والقديس للميت اذا زار المصاب قبره . ومنه حبل النساء المواقر بالبركة والزيارة ومنه اخراج الشياطين من المصروعين . ومنه ظهور الملائكة للقديسين ومصاحبتهم ومساعدتهم اياهم في بعض الشؤن . ومنه الصبر عن الأكل والشرب زمناً طويلا ولكن الذي ينقل عن الهنود من هذه الخارقة لم ينقل مثله عن غيرهم فان احدهم يدفن في الارض نحو شهر أو أكثر ثم يخرج منها حياً . وينقلون من كرامات القديسين ماهو أعظم مما ذكر ويدعون في بعضها التواتر فقد جاء في كتاب « العيشة الهنية في الحياة النسكية » أن من عجائب القديس اغناطيوس التي تزيد على مئة عجيبة ماهو ثابت بشهادة ستمائة وسبعين رجلا

هذا تواتر حقيقي والتواتر حجة عقلية باتفاق علماء المسلمين وغيرهم والذين يدعون هذه الدعوى للقديس أغناطيوس يسهل عليهم أن يسردوا أسماء أولئك الشاهدين ومن نقل عنهم فلا يبقى للمنكر عليهم الا أن يلجأ الى تأويل تلك الخوارق واثبات أنها خوارق وهمية لا حقيقية . وهنا يحكم العقل السليم من شوائب التحيز والتعصب الذي ينظر الى الأمم نظراً واحداً لايريد منه الا استجلاء الحقائق بأن التأويل اذا جاز فيما ينقل عن قديسي النصارى وكهنة البراهمة جاز فيما ينقل عن شيوخ المسلمين . فاذا كانت طرق النقل عند جميع الامم واحدة فإما أن نصدق الجميع واما أن نكذب الجميع واما أن نأول الجميع ولا رابع لهذه الوجوه . ومن قال من هذه الفرق انني أثق بنقل قومي دون غيرهم لانهم أحسن سيرتهم يقال له غيرك

كذلك فليس لك أن تحتج بأن مايقال عن صالحي ملتك دليل على صحتها لأن هذا الدليل هو الذي يسميه علماء النظر مشترك الإلزام

واذ ذكرنا القديس أغناطيوس — وهولويولا مؤسس طغمة الجزويت التي يستقيء من طعمها سائر فرق النصرانية — فاننا نشير الى بعض عجائبه أو خوارقه على سبيل النموذج . قال القس أفرام في ترجمته عند ذكر رياضته الأولى بعد تركه الجندية ودخوله في الاكليركية : « وقد اتفق له مرة أنه نهض لممارسة رياضته هذه الاعتيادية فتقدم الى أيقونة والدة الله « تعالى الله عن الوالدة والولد » وجثا أمامها بأقوى مايكون من العبادة وقدم نفسه للسيد المسيح بواسطتها وخصص حياته لخدمة الابن ووالدته المجيدة واعداً اياهما بكل نشاط نفسه أنه يخدمهما خدمة دائمة . وفي انتهاء صلاته هذه سمع صوتاً عظيماً وتزلزل المكان الذي كان فيه وانكسر كل زجاج النوافذ حتى ان حائط المكان انشق أيضاً وأظهر الله تعالى بذلك سروره بتقدمة عبده نفسه لخدمته عز وجل » اه

وكأني باخواني المسلمين وقد ضحكوا من هذه الاعجوبة وعدوها في سمط الخوارق التي سماها المتكلمون خذلانا تلوا قوله عز وجل « تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدّاً . أن دعوا للرحمن ولداً وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً » ولكني أذكر لهم ولا عكر أن يعدوه خذلانا . قال القس أفرام : « وقد شاء ابن الرجل الذي كان أغناطيوس معبأ بمنزله أن يعرف كيف يقضي الليل فرآه مرة ساجداً متأملا بوجه ملتهب مبتلا بالدموع ومرة أخرى أبصره مرتفعاً من على وجه الأرض ولامعاً بالنور الشمسي متقدا وقائلا بأعلى صوته بالفرح ياحبيب قلبي وسرور نفسي ليت الجحيم يعرفك حتى لايجسر أحد منهم أن يعاديك . فيا ما أعظم جودك ورحمتك لأنك تحتمل خطأتي » وكأني بهم يقولون ان هذه رواية آحاد أو ولدان لايعتد بها في هذا المقام وان صحت عنه فاني أرضى بهذا القول بشرط أن لايقبل قائله مثل هذه الروايات الآحادية عن صالحي ملته لأن ما جاء على خلاف سنن الكون لايقبل الا بالدليل القاطع الذي لايزال التشكك في معجزات الأنبياء عليهم السلام

ومن قبيل هذه الاعجوبة قول القس المذكور [illegible] كان [illegible] سؤال الكنيسة لاكرام مريم العذراء البتولية وأن [illegible] صورة [illegible] الثلوث الأقدس ورؤيا نورانية وعزة جسدية حتى أنه لم يقدر في ذلك النهار كله ان يكف عن ذرف

الدموع ولم يتكلم الا عن الثالوث الاقدس بنوع جلي سام بحيث كان يذهل بخطابه عقول أجلّ علماء اللاهوت مع انه كان لا يعرف حينئذ الا القراءة والكتابة .ومرة أخرى رأى في القداس حقيقة وجود جسد المسيح ودمه في القربان المقدس اهـ :ولهم أن يقولوا في الكلام اللاهوتي الذي قاله من غير تعلم انه ليس من الخوارق لأن الاذكياء اذا توجهوا الى شيء واعتنوا به فلا يبعد أن يقولوا فيه قولاً غير منتظر ممن في درجتهم العلمية وليس في درجتهم العقلية . ثم اننا لا نعرف ما هو ذلك القول لنحكم أنه محل الاعجاب في الجملة فكيف نحكم بانه علم لدني الهي جاء بغير تعلم وربما كان في الواقع خطأ . نعم أن أهل العلم والعقل من المسلمين يقولون هذا ولكن فينا كثيراً من المدعين للولاية ليس لهم كرامة الا الأقوال التي يسمونها علوماً لدنية وما هي الا من اللغو والجهالة ومنهم دجال الزقازيق الذي يدعي أنه يفسر القرآن بالإلهام ويعتقد صدقه الجم الغفير فيقصدونه من كل جانب بالهدايا والنذور ومثله كثير.

وأما رؤية جسد المسيح ودمه في القربان ، فهي دعوى بغير برهان . ومثل ذلك دعوى ظهور الشيطان له بزي ملك النور وحثه على الرياضات والعبادة ليصرفه عن العلم عندما قلل العبادة واشتغل بالعلم (قالوا) ولكنه عرفه ولم يخدع. ولكن عندنا مثل هذه أيضاً فقد ذكروا ان الشيطان ظهر للشيخ عبدالقادر الجيلي بصورة نورانية وقال له انه رفع عنه التكاليف فعرفه عبدالقادر وقال : اخسأ يالعون : فعند ذلك تحول الى ظلمة وقال له نجوت مني بعلمك ياعبدالقادر واني قد فتنت بهذه الحيلة كثيراً من العباد وذكر عدداً كثيراً

ومن عجائب اغناطيوس وخوارقه التي دونوها انه عند ما توجه من القدس الى أوروبا طلب من ربان سفينة « الربان رئيس الملاحين » أن يحمله الى ايطاليا حباً في الله فأبى وحمله ربان آخر فانكسرت سفينة الذي أبى ونجت سفينة الذي حمله. ومثل هذه أنه رأى مرة جماعة يلعبون « فطلب منهم الصدقة فنظر اليه واحد من الجمهور وهتف قائلا نحو القديس : ليحرقني الله حياً ان كان هذا الرجل لا يستحق أن يحرق حياً » وفي ذلك النهار عينه حضر فرجة دنيوية مبهجة وكان واقفاً على برميل ممتلئ بارود واذا بشرارة ملتهبة وقعت على ذلك البرميل فاشتعل البارود حالا وأحرق الرجل حياً » وعجيبة أخرى من هذا القبيل وهي انه لما جمع [ينسى] بأمره الرهبان في مكان ليقرأ عليهم قوانينه التي وضعها لهم وذلك بعد الخروج من المائدة واجتمعوا انهم

الرواق الذي كانوا يتذاكرون فيه بعد الأكل ولولا هذا الاجتماع لانهدم عليهم الرواق . وههنا يقول القارئ ان هذه الوقائع هي التي نقلها الكثيرون وعدوها عجيبة متواترة وما هي بعجيبة واتماهي وقائع حدثت بأسبابها وكان حدوثها بعد ماذكر من باب المصادفة والاتفاق لا أن سرّ القديس كان سبباً في حدوثها . ومثل ذلك يتفق لكل أحد ولكن الناس لايلتفتون الى هذه المصادفات الا اذا كان هناك من يعتقدون صلاحه . وهذا القول صحيح وهو يصدق فيما ينقله قومنا من مثل ذلك عن معتقديهم من الأحياء والأموات .

ألم يقل كثير من الناس ان الشيخ محمداً عبده اتهم في المسألة المرابية وحبس وهو بريء لأن الشيخ عليشاً كان مغضباً عليه فكان ذلك كرامة للشيخ عليش . ولم يلتفتوا الى أن الشيخ عليشاً قبض عليه وحبس أيضاً ولم يقولوا إن ذلك كرامة للشيخ محمد عبده لأن الشيخ عليشاً سعى فيه وشاية وحاول إيذاءه . وذلك ان الشيخ محمداً عبده كان متهماً بالعقل والحكمة لأنه أول من قرأ في الأزهر كتاب العقائد النسفية وبعض كتب المنطق والحكمة التي لم تكن تقرأ لذلك العهد ثم صارت تقرأ بعد ذلك بلا نكير . ألم يقل بعض الناس ان ابن الشيخ الضواهري أخذ شهادة التدريس لأن والده يخدم ضريح السيد البدوي فذلك كرامة للسيد ؟ وقد أخذ مثل هذه الشهادة كثيرون ولم يعد ذلك كرامة لأحد . بل قال بعض الحمقى في هذه الايام ان الشيخ علياً البيلاوي صار شيخاً للأزهر بسر سيدنا الحسين (عليه الرضى والسلام) لأنه كان خادماً للمسجد الذي فيه الضريح المنسوب له ! وقد خدم هذا المسجد غيره ولم يكافئهم سيدنا الحسين بهذه المكافأة ونال مشيخة الأزهر كثيرون لم يخدموا المسجد الحسيني فلم يعد ذلك من الكرامات وخوارق العادات !!!

ذكرنا هذه الشواهد المتعلقة برجال معروفين من أهل الطبقة العليا في المسلمين ويعرف كل واحد من الناس مالا يحصى من أمثال هذه الشواهد التي يلهج بها الناس في كل مكان . وهي عندهم أقوى من كل برهان ، بل أقوى من الحس والعيان والإحساس والوجدان . بل هي ركن الاسلام والإيمان ، ويخشى بعض الخواص من تشكيكهم فيها ان يخرجوا من الدين ويتفانون من جماعة المسلمين . وقد نقلنا هذا الرأي فيما سبق عن بعض كبار الشيوخ وهو الذي يجب التأني في بيان الحق في مسألة الاعتقاد بالأولياء والتماس المنافع ودفع المضار من أصحاب القبور وجعل ذلك تدريجياً

لبيد تقسيد أعناد العامة الذين لا يعرفون من دلائل الدين غير ذلك . وقد تقدم في مقالات البحث في آيات الكرامة وسنذكر في الجزء الآتي الحق الصريح الذي ينبغي اعتقاده للناس في المسألة وبيان منافع هذا الاعتقاد ومضاره ووجوه تأويل ما ينقل من جميع الأمم من الخوارق فلا يعجلن القارئ المغرم بهذه المسائل بالحكم حتى يقرأ المقالة الآتية مفصلة تفصيلا

﴿ باب الاسئلة والاجوبة ﴾

المكاتبات ومسائل عبد الله بن سلام (س ١) ا . ز . ع بالسويس : سأل عبد الله بن سلام النبي صلى الله عليه وسلم قبل إسلامه وكان اسمه أشاويل ألفاً وأربعمائة مسألة وأربع مسائل من غوامض التوراة أذكر منها سؤالا نصه « أخبرني أين مقعد الملكين من العبد وما قلمهما وما لوحهما وما مدادهما ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : مقعدهما بين كتفيه وقلمهما لسانه ودواتهما ريقه ولوحهما فؤاده يكتبان أعماله إلى مماته : فقال صدقت يا محمد » الخ . وقرأت حديثاً في مجلة مكارم الأخلاق الاسلامية أتى به السؤال بعنوان القضاء والقدر وهذا معناه « كل يوم ينزل على العبد ملكان معهما صحيفتان إحداهما بيضاء والأخرى مكتوب فيها أعمال العبد من حسنات وسيئات فيكتبان في الصحيفتين البيضاوين ما عمله طول يومه حتى اذا انتهى النهار طلع الملك الصحيفتين الملكين كتبا هما على الآخرين فيجد أنهما مثل بعضهما حرفاً بحرف » الخ فهذان الحديثان ينافي أحدهما الآخر ففي الأول إن لوحهما فؤاد العبد وفي الثاني انه صحيفتان ينزلان بهما فنرجاء الافادة هديتم للهدى .

(ج) كل من الحديثين غير صحيح ولا يجوز لكم أن تأخذوا بحديث ترونه في كتاب أو مجلة أو جريدة الا اذا كان موصولا بذكر من خرجه من أئمة الحديث التي تنزل مراجعه ومعرفة صحته من عدمها أن لم يذكر مخرجه ذلك ولم يكن في الصحيحين . وهذه القصة التي سألوه في مسائل عبد الله بن سلام المذكورة في خريدة العجائب — جبهة الكذب — قصة موضوعة والذي في صحيح البخاري أن عبد الله ابن سلام سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن ثلاث عن أول الساعة وعن أول طعام أهل الجنة وعن الولد ينزع الى أبيه وأمه . والرواية هكذا في غير البخاري من كتب الحديث وفي كتب السير . قالوا وكان اسم ابن سلام الحصين فلما أسلم سماه